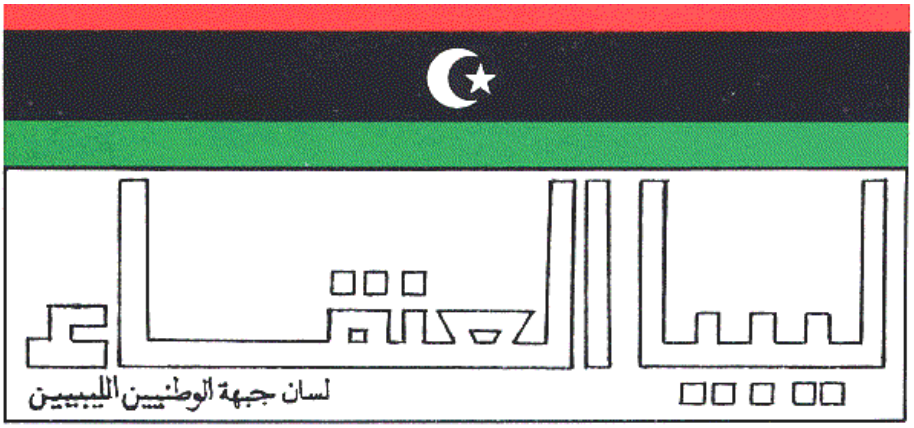

عاشت ليبيا عاش الملك

لسان جبهة الوطنيين الليبيين

السنة الثانية ـ العدد الرابع (خاص) ـ أبريل 1982

ان خيرَ السلطان من أشبهَ النسورُ حولها الجيفَ، لا من أشبه الجيفُ حولها النسورَ .

(ابن المقفّع)

كلمتنا

وحدة الأمة تحت علم الحرية

ان وحدة المقاومة الليبية بأسرها شرط جوهرى لالحاق الهزيمة العاجلة بدولة المخابرات الحاكمة فى البلاد، وتفادى العواقب المحتملة لحالة الضياع والتمزق الفظيع التى خلقها جواسيس السلطة بين صفوف الشعب، والتمهيد لاقامة دولة المؤسسات الديمقراطية الحرة بعد اسقاط رأس الأخطبوط المخرّب وأذرعه المتشعبة فى كل مكان .

فهذا أشرس السلطان يغتال مواطنيه بالجملة ثم يطمس الجريمة . يقول عن كل معارضيه أنهم أعداء للشعب ورجعيّون فاشيّون، فى حين أن الشعب بالتجربة الطويلة المباشرة يعلم حق العلم أنه ـ ومنذ عهد الاستعمار ـ لم يواجه عدوا ألدّ ممن ضربوا عليه بعد عهد الأمان حصارا جديدا.. نصبوا فوق أرضه المشانق التى خلّفها الفاشست قبل نصف قرن. ورأس الافعوان يسعى بما يملك من وسائل الاذاعة الى رمى مناهضيه كلهم بتهمة الخيانة ووصمة العمالة.. والسرّ فى الاصرار هكذا هو أنه بحكم الاحتراف والهواية يعشق هاتين الرذيلتين أكثر من سواهما . وأكذب الجميع فى خطابه يزعم أن "الشعب سيد الجميع".. بينما "الأخ" المواطن المغدور فى بلاده عبد وليس سيدا، حتى بالمعنى المألوف فى أسلوب لغة التخاطب المهذب بين بقية البشر . فكلمة "السيّد" هذه محظورة التداول مثل لقب معيب.. فهى تنطوى على مضامين خطيرة على فلسفة الحكم، لأنها توحى على الأقل بكرامة الانسان وشرف المواطن الحر .

ان الحاكم السفاح والأتباع ليس أمامهم غير مسيرة عمياء نحو هاوية السقوط مدفوعين بغريزة البقاء البهيمى الذى بشّرهم به انجيلهم الصغير . فنظريتهم ذاتها تقول لهم "ان الأقوياء دائما يحكمون".. وهم وفقا لتعاليمها يحلمون بأن البقاء يدوم للأقوى فقط.. ونحن نقول، بكل عنفوان العزّل فى الدفاع عن حق وعن قضية نبيلة، أن البقاء للأصلح دائما فى آخر المطاف . ولا يوجد ثمة ما هو أصلح لأى شعب من شعوب الأرض أكثر من ضمان حريات كل الناس بالدستور والقانون الحضارى وحكم المؤسسات الديمقراطية التى يختارها مواطنون سادة بالفعل فوق أرضهم.. وليس "اخوة" فى الرعب خشية من الارهاب فى ظل حراب عسكر السلطة واللجان .

ومن هنا فاننا، ايمانا بأهمية توحيد تيارات الرفض الجارف للطغيان الأسود فى كل أنحاء بلادنا وضرورة العمل الجماعى لارساء دعائم الديمقراطية وحكم الشرعية الدستورية فيها، <u>نعلن انضمامنا بالكامل وبلا أدنى تحفظ الى (الاتحاد الدستورى الليبى) مكثفين جهودنا معا على طريق النضال الوطنى تحت الراية الأصيلة لوحدة ليبيا الحديثة وحرية أبنائها جميعا .</u>

ان صرخة الحرية تخرق صمت السجون الرهيب . وان نقمة جماهير الشعب حقيقة هائلة أقوى من كل أسلحة القمع، فلن يستطيع الحكم البوليسى امتصاصها أو اخمادها مهما توسل من حيل رخيصة أو أوغل فى متاهات الجريمة.. هذا النظام الطائش الأرعن انما يسعى الى حتفه بظلفه ويحفر قبره بيديه . فليس بوسع أحد أن يخدع كل الناس طول الوقت.. أو يقهر كل الشعب . ولسوف يحسم الصراع قطعا لغير صالح المخابرات والتعذيب والمعتقلات !!..

قراءة عاجلة في :

المقولات الخضر

" في الحاجة تكمن الحرية " : تعبير بليغ بارع الايجاز عن حقيقة بديهية متناهية الوضوح والبساطة . وهنا بالضبط يكمن سرّ بريقه الأخاذ . فقمة البلاغة عند العرب ما قل ودل . والفصاحة حين تقترن بالايجاز كثيرا ما تضفي هالة سحرية عجيبة على أي كلام يقال بكل اللغات ، ولا سيما اذا كان موضوع الحديث فكرة مجردة كالحرية أو غيرها من المفاهيم التي استعصت على التعريف الدقيق في جميع العصور . فلو قلت مثلا : "في الحظيرة تكمن الدجاجة" أو "في الزريبة يكمن الفيل" تكون قد نطقت لتوك بجملة مفيدة لها نفس التركيب اللغوي أيضا . ولكن جملتك البائسة هذه ، رغم أنها مفيدة نحويا ، لا يمكن أن تحدث نفس الأثر وليست لها أية فائدة تذكر بالنسبة للجنس البشري . وبالتالي فانك لا تستطيع أن تطالب الغير باتخاذها شعارا ثوريا أو اقحامها في تاريخ الفكرى الانساني باعتبارها من الأقوال المأثورة والدرر النفيسة .

العبارة السالفة الذكر (أو المقولة أو الأطروحة الفلسفية أو سمّها ما شئت) وردت هكذا في حاشية الصفحة العشرين من الفصل الثاني من الكتاب الأخضر . وجاء في متن الكتاب تعريف "الحاجة" محصورا باختصار شديد في حيز صغير يضمه مستطيل مساحته 3x6.5سم من النص المطبوع ، وفيه يقول المؤلف بنفس البساطة المذهلة :

(ان حرية الانسان ناقصة اذا تحكم آخر في حاجته ... فالحاجة مشكل حقيقي ، والصراع ينشأ من تحكم جهة ما في حاجات الانسان) .

ان أحدا لا يستطيع أن ينتقص من قيمة مثل هذه النظرية الكامنة أو يفندها بأي حال . فأنت لو أتيح لك التحكم في كسرة الخبز التي يحتاج اليها المؤلف ثم منعتها عنه ، يصبح عبدا أو شبه عبد لك — من الناحية الواقعية على الأقل — وبالتالي تصبح حريته ناقصة للغاية وربما تنعدم نهائيا اذا كنت أنت ، السيد المتحكم في حاجته ، قاسيا غليظ القلب بحيث تركته يموت جوعا !.. ومع ذلك فان البلاغة عندما تستخدم لمجرد تمرير رأي ما على أساس أنه في حد ذاته قضية مسلّمة غير قابلة للجدل ، فانها قد تغدو سلاحا ذا حدّين كلاهما قاتل لحرية الفكر .

ان بوسعك أن تأخذ كلمتين فقط من تلك الأطروحة الموجزة الفصيحة فتضع كلا منهما مكان الأخرى داخل نفس المستطيل الضيق دون ادخال أي تغيير على تركيب الجملة ذاته ، فتقلب المقولة كلها رأسا على عقب ، اذ تعلن بالمقابل :

(ان حاجة الانسان ناقصة اذا تحكم آخر في حريته ... فالحرية مشكل حقيقي ، والصراع ينشأ من تحكّم جهة ما في حرّيات الانسان) .

أي أنك لو وضعت المؤلف العبقري داخل قفص محكم الاغلاق أو زنزانة في الحبس الانفرادي وأغرقته بكل مخزون مؤسسة السلع التموينية والأسواق العامة ، فان حاجته تظل ناقصة — من الناحية النظرية على الأقل — بل ربما تنعدم كل حاجاته بالضرورة اذا كان عنيدا الى حد الاضراب عن الطعام حتى الموت جوعا .. أو كان شرها حتى التفوق بالتخمة !.. ثم لا تنسى أنك لو حبسته على هذا النحو تكون قد تحكمت لا في حاجاته فحسب ، بل في قضاء حاجته أيضا !!

فما رأي المؤلف ، يا ترى ، في هذا "الطرح" الجديد ؟.. لو رضي بالتنازل عن بعض كبريائه الفكري واعترف لك بصدق مقولتك هذه — بغض النظر عن قضية الدجاجة والفيل — فهنيئا لك !.. تستطيع أن تمضي في مشروعك الى آخر مداه ، فتنسف كل الأفكار القديمة ، وتلغي جميع النظريات السابقة ، وتخلق حضارة طازجة ، وتغرق في حل مشاكل البشرية الى أذنيك ، ثم تضع نظريتك الثالثة والنصف بأي لون يروق لك . ولكن اياك أن تخط على هامش

الصفحة العشرين : "في الحرية تكمن الحاجة الأساسية" .. فليس بالفيدو وحده يحيا الانسان الليبي !

فأغلب الظن أن المؤلف الخطير سوف يبتسم لك في سخرية مشوبة بالشماتة ، لأنك لا تملك المعدات وقطع الغيار اللازمة حتى لصنع نصف نظرية عالمية . وفيما ينتابك شعور حاد بالتعاسة خوفا من ألا يسمح لك بمشاركته في وضع الحلول الجذرية لمشاكل البشرية المعذبة ، يدعوك هو نفسه الى تأمل الفقرة الأخيرة في الفصل الأول من دفتره الواسع الانتشار بالمجان ، حيث يصعقك قوله بالحرف الواحد : "هذه هي الديمقراطية الحقيقية من الناحية النظرية . أما من الناحية الواقعية فان الأقوياء دائما يحكمون .. أي أن الطرف الأقوى في المجتمع هو الذي يحكم" . وبعد أن كنت "تحب أن تفهم فتدوخ" (على حد تعبير أحد المراقبين المحايدين) تنهال أمام عينيك مرة واحدة جميع قطع الأحجية الصغيرة على هيئة مقولات خضراء تأخذ مكانها الى جانب بعضها البعض الى أن تكتمل الصورة كلها في تناسق بديع .. فتفهم أن الأعزل ضعيف والمسلّح قوي والأكثر تسليحا أقوى ، ومن يسيطر على الأسلحة الفتاكة ومفتاح الخزينة معا هو الأقوى .. وتعرف أن من يحكم هو الذي يتحكم في حاجتك فتنقص حريتك ، أو يصادر حريتك للمنفعة العامة فتنتفي الحاجة الى وجودك أصلا .. أو أي هراء آخر مقلوب في أي اتجاه . فالكلمات وحدها لا يبقى لها ثمة أي مدلول حقيقي يهمك فهمه في سياق غطرسة القوة . وتستنتج وحدك ، من دون كتاب ، أن "الطرف الأقوى في المجتمع" هو الأبلغ أيضا .. وهو الأعقل .. وهو وحده الذي يقطر حكمة الى حين يفقد مصدر القوة أو يفقد رأسه أيهما كان أسبق ! .. ويخطر ببالك أن المتنبي الجديد انما يعيد على مسامع الجمهور بلغة العصر مقولة سلفه القديم بأن "السيف أصدق أنباء من الكتب" — الأمر الذي يجعلك تدوخ مرة أخرى متسائلا بحيرة بالغة : لماذا لم يقتصر على سوق قواته "المجحفلة" ويدع الكتب الخضراء وشأنها ؟ .. أما كان يبدو أكثر انسجاما مع منحى فكره الجبار لو قال مثلا : "في الثقافة تكمن السخافة" ؟ !

تلجأ الى أحد العقول الالكترونية الغربية الصنع ، طالبا منه تزويدك بقائمة مصغرة ألف مرة لمشاكل البشرية الليبية وحدها منذ صدور المؤلف فقط . فينهار العقل الآلي باكيا معلنا عجزه الكامل عن أداء تلك المهمة المستحيلة ويقول لك أنك ، بصريح العبارة ، أبله وأحمق اذا كنت تعتقد أن مشكلات الانسان الليبي في تعقيدها الأزلي يمكن حلها بأي شكل هزلي — رغم أنه شخصيا (أي العقل الآلي) شديد الاعجاب بلون الكتاب وسلاسة أسلوبه وأناقة طبعه وتبويبه . فتلعن العقل الامبريالي المنافق ، متهما اياه بالرياء وعدم الموضوعية وبأنه لا يخفي تحيزه الواضح للمؤلف طمعا في الحصول على "حاجته" من زيت التشحيم بثمن مخفف ! .. ومن باب النكاية فيه وفيمن خلّفوه تذهب من ثم لاستشارة أحد الأدمغة الثقيلة التي تعمل في عكس اتجاه عقرب الساعة . فيلسعك مثل عقرب حقيقي ، فيما يناولك نسخة من كتيب تعليماته الأحمر زاعما أنه طريق الخلاص النهائي من سائر معضلات الانسانية .. بما فيها صاحبك المؤلف اللامع نفسه ! ..

يعتريك اليأس . ترجع للكتاب . وآخر فقرة من فصله الثالث والأخير تحكي عن الرياضة الجماهيرية .. تقرأ فيها قوله : (أما الملاكمة والمصارعة بأنواعها فهي دليل على أن البشرية لم تتخلص بعد من كل السلوك الوحشي .. ولكن الأفراد المتحضرين أكثر من غيرهم والأرقى عقليا هم القادرون الآن على تجنب ذلك السلوك الوحشي ممارسة وتشجيعا) . ثم تطالع جرائد الصباح والمساء فتفاجأ في باب أخبار الجرائم الوحشية بأن بعض الثوار الذين أعدهم المؤلف بنفسه بمثابة "أفراد متحضرين أكثر من غيرهم وأرقى عقليا" مثله بالضبط هم القادرون الآن على سلوك أسلوب الاغتيال الغادر والارهاب المسلح "ممارسة وتشجيعا" . فيا للجحيم ! .. هل يعني ذلك أن مدرب الرياضة الجماهيرية يستعد للاشتراك في دورة الألعاب الأولمبية بفريق من "السفّاحين" للمسافات الطويلة ؟ ! ..

ان مجرد نظرة سريعة عبر كل النظريات البراقة والتطبيق القاتل تكفي لاقناعك بأن الحرية مهما حوصرت يستحيل أن تكمن في محض عبارة بليغة بحجم اصبعين من كتاب .

قبض الريح ..

الجماهير تلعن جدّ الحكومة سرا لاختفاء الثوم من أسواقها ، والبعض يهتف باسمها علنا تحت وطأة الخوف من لجانهـا . ومنشورات سلطة العسكر باسم الشعب فرضت على المواطن العادى أن يدعو انقلابها الحاكم حتى الآن " ثـورة شـعبية " وعظيمة أيضا . . والا فقد الوظيفة التى يكسب منها لقمة العيش وحدها (بعد هجرة البصل من دكان الحكومة) ! . . ومـن واقع الحال وصخب الاذاعة عـوّدوه على تخيّـل الثورة ، فى مفهومها المطلق ، غولة سحّارة قبيحة ناتئة الأنياب تعضّـه وتخلع قلبه هلعا متى شاءت وحيثما كان . . فلا مهرب من لعنتها المقيمة . وترسبت فى ذهنه الصورة بالخبرة والتكـرار والتجربة الحية ومضّى الوقت حتى كاد ينسى أن هذا الشبح المريع ليس فى الواقع الا طاقما من الأفراد لا هم يصنعون ثـورة عظيمة . . ولا هم يحزنون ! فالثورة التى يصفونها له زورا بأنها جميلة ورائعة يراهم اليوم بعينى رأسه يوتكبون باسـمها الجريمة المقـزّزة ، ولا يملك المواطن البائس المذعور حتى أن يشيح بوجهه عن بشاعتها لئلا يقال عنه أنه قد أغـضب الساحرة الرهيبة . والثورة الحلم التى تملأ الأرض عدلا لم تبق منها غير صورة مهزوزة فى عقله القديم طمست معالمهـا الأزوقة الخضراء والدماء .

ونفس هذا المواطن العادى لم يعد يرى فى شعبه مجموعة من المواطنين مثله بالضبط ، اذ يشاركونه نفس الهموم وكل التعاسة ، لكن راح يرمقه من بعيد كأنما هو مخلوق خرافى منفصل عنه قائم بذاته ليست له به علاقة عضوية مباشرة . فقد يقول لك أن الشعب تافـه . . عظيم . . بطل . . جبان . . حسب ما يتراءى له وحده من وضعه المزرى ومن نظرته القصيرة المدى ومن أحكامه العفوية التى يطلقها بلا حساب . والحاصل المحزن الملحوظ أن هذا الشعب (ربما بفعل ما يعانيه المواطن الفرد من قهر نفسى عنيف) أصبح فى عيون بنيه كائنا غريبا غائم الملامح لا تربطهم به سوى وحدة لقب وقطعـة أرض مشتركة . فالشعب ليبى ، والمواطن ليبى بالمثل . . وحلقة الوصل بينهما ادارة الجوازات والسجل العقارى فقط !

والفرد الليبى أيضا يصفق فى الخفاء لفكرة المعارضة نكاية فى الكاهنة ، لكنه ينأى عن الممارسـة كجرب مخيف . . لأنها متعبة ومزعجة وربما تودى به الى الهلاك فى المواجهة . وهو فى محاولاته لعزل نفسه عن المأساة ، قدر المستطاع ، انما يغرق فى الوهم المريح بالسعادة الغامرة التى لا بد أن تحملها يوما اليه الريح ! ! . . فالتصدى العملى لقوى السـحّارة المهولة يبدو له ــ كشعبه الذى يراه بطلا ولا يراه ، ومثل الانقلاب العسكرى مدّعى الثورة ــ شـيئا غامضا بعيد المنال ، ومن الأفضل أن يتركه للغير بينما يظل هو فى انتظار ما تأتى به الأقدار ونتائج الأحداث . ومقاومة الغولة التى تخنقـه بالفعل مسألة تطربه توقعاتها . . يريدها بكل ما يملك من تمنيات طيبة ، لكنه لا يستطيع أن يحس أنها تعنيه بالتفصيل شخصيا . فلا يقحم نفسه فيها ، ولكن يتعاطف ! . .

والسيد المواطن يعرف فى قرارة نفسه أن أبناء الساحرة لم يتركوا له الخيار . فاما أن يتستّر مثلهم تماما خلف برقـع الثورية المزيفة كى يضمن السلامة المؤقتة ، واما أن يضربوه كلما حاول أن يرفع رأسه المحنّى من فرط العذاب . فهو اما تابع للانقلاب ، واما غير راض عما يرى ويسمع حوله . . وبالتالى يعد معارضا للعسف شاء أم أبى . ويبقى أمام المواطن السيد فى النهاية أحد أمرين : أن يفطن أو لا يفطن الى أنه لا بد أن يؤدى دوره ان كان فى نيته الخروج من قوقعة الرعـب الى برّ الأمان . ولن يجديه أن يظل فى انتظار بطل مثل أبى زيد الهلالى ليصرع العفريت فى غيابه بالضربة القاضيـة الأكيدة . فهل سمعتم أحدا صفق قط بيد وحيدة ؟ !

ان لم يـع المواطنون الرافضون للسحر وللغيلان وللبطولات الخرافية هذه الحقيقة المسـطّحة ، فلن يأتى أبو زيـد وكلهم أحيـاء ! . . والوقت انما يضـيع من أعمارهم ومن مسـتقبل الأجيـال .